## عناية السيد مدير تحرير صحيفة التجمع

سيدي,

في إصداركم ليوم 20 أغسطس 2007، قمتم دون إخطاري بنشر- مقال بعنوان "عالم المضمرات في مملكة العشق السياسي و متواليات الانفصال" وبالاستناد إلى عملي البحثي، في مدينة تعز وفي حوض الاشراف على وجه التحديد.

احرص على الطعن بشدة في هذا الاستحواذ السياسي لعملي والذي يتسبب بإخطاء جسيمة بل وبتلميحات غير مقبولة بما يشكل مساساً كبيراً بسمعة عملي في المركز الفرنسي للأثار والدراسات الاجتماعية في صنعاء (CEFAS) ولدى السلطات اليمنية المسؤولة عن التعاون العلمي بين اليمن وفرنسا.

لقد قمتم بنشر هذا المقال ليس دون إذن مني فحسب بل في اللحظة التي أشرت لكم علناً - أثناء لقائنا- أني لا أر غب بتاتاً بالكتابة في الصحافة، فبعد عودتي إلى اليمن لكتابة وتدارس البحث، كنت قد دعوت من قبل صديق إلى جلسة قات في ديوان "الجاوي" الثقافي ليس بهدف مقابلة صحفيين وإنما لمقابلة دكاترة جامعيين من مرتادي هذا المكان. وفي ذلك اليوم، كنت قد تناقشت مع البعض عن بعض النتائج على أمل تجميع ملاحظاتهم ومقترحاتهم، ولم يكن قصدي أبداً " النشر " خلافاً لما أوردتموه وإنما دعوة لشركاء جلسة النقاش للإدلاء برأيهم حول مواضيع بحثي، وما صدمني كثيراً أنكم تنسبون إليّ أقوالاً هي أقوالكم، تتناسب بوضوح مع ما أردتم انتزاعه من تلك المناقشة وربطه بأهتمامتكم السياسية، دون صلة مع أهداف بحثي الذي اجريته حول الحياة الاجتماعية في تعز ولهذا لن أسمح بهذا التشويه دون الرد.

فلقد لاحظت خصوصاً المقتطفات الفظة التي أحدثتمو ها بين الجنس والسياسة وكذلك تأكيداتكم التي من شأنها أن تجعل أهداف بحثي في استثمار- واحد من هذين المجالين. ولإكساب المصداقية على تأكيداتكم الزائفة، فإنكم تمزجون بين ظاهرتين اجتماعييتين لا علاقة لبعضهما البعض، وهما موضوع ابحاث متمايزة، ففي استثماركم المقصود للشحنة الرمزية المرتبطة بمشكلة " الشقاة" التي سبق ودرستها عام 2004، فإنكم اشركتم فيها نتائج بحث يعود إلى 2003 حول ظواهر السلطة لدى شباب الحارات وكذلك نتائجي الحديثة ( 2006 ) حول دور التلفظ البذيء ذي البعد الجنسى في إجتماعية تجار السوق.

وتربطون هذا المجمل الغريب من خلال تلميحات مسيئة حول النشاط الجنسي المفترض لابحاثي بل وبتأويل مصدره الاستيهام حول تأثيرات السيطرة المدفوعة إلى الاشتراك في هذا. وهذا التأويل بعينه الذي يشدني هنا إلى هدمه.

على عكس ما تكتبون، فإن الملقب بالزعيم لم يكن واحداً من أفراد الجولة وإنما هو لقب يطلق على شاب من قبل أصدقاء طفولته في حيه، وتبدون أنكم تربطون بهذا المصطلح دلالات إضافية غامضة، في حين لا وجود هنا إلا لدلالة ألفة ودية واحترام، وهكذا تنزعون عنوة هذا المصطلح من إطار الحي، لفظ قابلية اجتماعية غنية، وخلاقة ومتينة وهي ما يشكل افضل معقل ضد عنف العلاقات المتأتي من الوضع المادي الصعب لهؤلاء الشباب.

غياب القابلية الاجتماعية هذه وهي التي تُشعر بنفسها في أحياء الانشطة التجارية والمنشأت الحديثة التي تقضي فيها القابلية الاجتماعية بعداً بذيئاً يلحظ أكثر فأكثر إلا أن في اليمن كغيرها و وإضيف، سواء في الأمر غربي أو من دونه تظل المزحة مزحة مهما كانت بذاءتها وهكذا الحال، فالمقصود، بالنسبة لهؤلاء التجار ذوي الاصول المختلفة والمستقرين في الحوض هو اقامة مناخ ألفة بأسقاط حواجز الادآب، واقترح كذلك أن لهذه الاجتماعية وظيفة مضمرة تساعدهم في مواجهة الاثارات التي يواجهونها والمرتبطة بالفقر

وتنمية الاقتصاد غير الرسمي، وفي كلا الاحوال، فإنه من الجائز البديهي تفسير هذا الخطاب على أنه تعابير ذات طابع جنسي واضح.

وحقيقة الأمر، أن مجمل هذه الظواهر يطرح سؤالاً حول التركيب الاجتماعي لرجولية الشباب الذين لا يستطيعون على الزواج ودور ها في انبثاق الثقافات الحضرية المتباينة لدى هذا الجيل. وهذه هي نظريات "الجندر" التي استمد منها والتي أصبحت اليوم عادية في العلوم الانسانية المعاصرة. فليس في الامر أي سر أو عيب، فهذه الظواهر الاجتماعية تحدث في وضح النهار وليس كما تزعمون "مخفية تحت الف حجاب".

من خلال الاقتراح بأن الثقافة الذكورية لشباب اليمن يجب أن تشكل نوعاً من الدفاع السري، فإنكم تفسرون وجهة نظر ظلامية لا تتفق مع العقل المنفتح الذي يسود في علاقات التعاون العلمي بين بلدينا. كما أن تقدمون – بنظرية عبثية جداً- التاريخ الاسطوري لعلاقات الخليفة هارون الرشيد ووزيره كسلاح في السياق الحالي للتوترات الجيوسياسية والعدائية على الاسلام، لتعدون بذلك على نحو مضمر قضية استشراق بالنسبة لي.

إلا أن معضلات الوفاء للآخر واللذات كمبادئ الصداقة والحب، يحتل في الثقافة العربية تاريخاً طويلاً ومعقداً يقتضي بالذات عدم تصويره، وبالمقابل فأنكم انتم من يعيد انتاج الحواجز الايديولوجية والافتر اضات الاكثر تعارضلًا في التراث الشرقي كما حللها ادروار سعيد، فإني احسبها دليل تعارض دائم بين العقل والوجدان الذي يُعِد ضمناً مجمل بر هنتكم والتي شكلت اداة امتياز للعنصرية الاستشراقية، على عكس عملي، فإن تمرورن بعيداً وبصمت تام صيغة العقلانية المعززة بالديانة الاسلامية فيما يخص دور الحب في اتساق الرابطة الاجتماعية.

إن ظُلاكم الذهني، بالرغم من الاناقة الفكرية التي يظهر بها ليكشف عن نوع من العدائية توجب علي للأسف الشديد أن أتعلم الدفاع عن نفسي منها. فمنذ إقامتي الاولى في اليمن عام 2003، كنت قد تصدادمت بشكل دائم مع تأويلات جنسية مهينة لوجودي في المجتمع اليمني؛ وليس كما تقترحونه، بأن الأزمة الاقتصادية قد تسببت بإنتشار اشكال من الانحراف الجنسي بين الشباب اليمنيين وأنما لأن هذه الطريقة التي يظهر فيها الشك تجاه الآخر الأوروبي إضافة إلى البارانوبا التي تغذيها العداءات الامبريالية الجديدة حيث بعض الدول العربية ضحية لها. ففي ردة الفعل هذه بالذات لهذا المناخ قام صديقي - الذي تلقبونه " بالزعيم" ببنني طريقته المباشرة في إبداء مشاعره نحوي: فقد كان يود بهذا أن يقدم النموذج في حيّه بطريقة سليمة لمعاملة الضيف الاجنبي الذي كان أنا ليكّرم النموذج الديني الذي كان يسعى إلى تمثيله. كان وضعه يفرض عليه نحوي حماية متذبذبة بين القوة وقيليلة التعارض مع مسار البحث السوسيولوجي. كما أنها لم تكن البته مجردة من المثالية وبضرب جنون العظمة لكنها كانت جديرة بالاحترام ككل الدعوات التي ساهمت في أن تجعل من إقامتي في اليمن مثرية على الصعيد العلمي والشخصي، بالرغم من السياق الاقتصادي الصعب الذي تفاقمه توترات ايديولوجية دولية.

فلو كان الشباب اليمنيون، كما تأسفون، يعاني من قصور في النضج السياسي، فالأمر لا يعود أبداً إلى حب الهيمنة التوهمية والاصح بالنسبة لي، أنه مرتبط بالمداهنة المزمنة التي تحافظ عليها السياسة تجاه الغرب ومن خلال التوسع نحو عدد كبير من المؤسسات المكونة للحداثة: المدرسة، القانون، الدولة...

اسمحوا لي - على الرغم من جهلي الكبير باللعبة السياسية في هذا البلد ـ بالشك بأن معارضة حادة ومنتظمة للحكومة تتاجر بالجراحات الوطنية وبكراهية الاجنبي قادرة على دفع الأمور إلى الأمام.

## Monsieur,

Dans votre édition du 20 août 2007, vous avez publié sans m'en avertir un article intitulé « Le monde des sous-entendus au royaume de la passion politique et les effets de la ségrégation », faisant référence à mon travail de recherche dans la ville de Taez, et plus précisément au Hawdh al-Ashraf. Je tiens à récuser fermement cette récupération politique de mon travail, qui comporte de graves erreurs ainsi que des insinuations inacceptables, portant gravement atteinte à la réputation de mon travail, au Centre Français d'Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa (CEFAS) ainsi qu'aux autorités yéménites responsables de la coopération scientifique entre le Yémen et la France. Vous avez publié cet article non seulement sans mon autorisation, mais surtout alors que je vous avais explicitement signifié le jour de notre rencontre que je ne désirais pas m'exprimer dans la presse. De retour au Yémen pour un séjour de réflexion et d'écriture, j'avais été invité par un ami à mâcher le qat au salon culturel « al-Gawi », non pas dans le but d'y rencontrer des journalistes mais dans celui de dialoguer avec les professeurs de l'Université qui le fréquentent. J'ai discuté avec quelques-uns ce jour là de certains résultats, dans l'espoir de recueillir leurs remarques et leurs suggestions ; il ne s'agissait donc nullement de ma part d'une « communication », contrairement à ce que vous avez écrit, mais d'une invitation aux partenaires de cette discussion à s'exprimer sur les thèmes de ma recherche. Il est particulièrement choquant que vous m'attribuiez des propos qui sont les vôtres, correspondant manifestement à ce que vous avez voulu retenir de cette discussion, en lien avec des préoccupations politiques sans rapport avec l'objet de mes recherches passées sur la vie sociale des jeunes à Taez. Aussi je ne puis laisser cette diffamation sans réponse. Je conteste en particulier les raccourcis grossiers que vous opérez entre sexualité et politique, ainsi que votre affirmation selon laquelle mes recherches se seraient données pour but d'explorer l'un quelconque de ces deux domaines.

Afin de rendre crédible vos affirmations mensongères, vous mélangez des phénomènes sociaux sans rapports les uns avec les autres, ayant fait l'objet de recherches distinctes. Exploitant délibérément la charge symbolique associée au problème des hommes de peines (shuqât) que j'ai étudié en 2004, vous y associez des résultats d'une recherche remontant à 2003 sur les phénomènes d'autorité au sein des jeunes d'un quartier d'habitation, ainsi que mes résultats les plus récents (2006) sur le rôle de la vulgarité à dimension sexuelle dans la sociabilité des commerçants du souk. Vous liez cet ensemble hétéroclite par des insinuations insultantes sur l'activité sexuelle supposée de mes enquêtés, ainsi qu'une interprétation qui relève du fantasme sur les effets de domination sensés s'y nouer. C'est en particulier cette interprétation que m'attacherai ici à déconstruire.

Contrairement à ce que vous écrivez, le surnom de « Za'îm » n'était pas celui d'un acteur du rond-point mais celui attribué à un jeune homme par les amis d'enfance de son quartier. Vous semblez rattacher à ce terme de bien sombres connotations, alors qu'il n'y avait là qu'une marque affectueuse de familiarité et de respect. Vous abstrayez donc délibérément ce terme du cadre de ce quartier, celui d'une sociabilité riche, inventive et solidaire, qui constitue le meilleur rempart contre la violence des rapports induite par la situation matérielle difficile de ces jeunes. C'est précisément l'absence d'une telle sociabilité qui se fait sentir dans les quartiers d'activité commerciale, de construction plus récente, dans lesquels la sociabilité comporte une dimension vulgaire de plus en plus marquée. Néanmoins au Yémen comme ailleurs — et j'ajoute, qu'un Occidental en soit ou pas témoin — une boutade reste une boutade, quelle qu'en soit la grossièreté. En l'occurrence il s'agit, pour ces commerçants d'origines diverses établis au Hawdh, d'instaurer un climat de familiarité en faisant tomber les barrières de la politesse. Je suggère également que cette sociabilité a pour fonction implicite de les aider à faire face aux

sollicitations auxquelles ils sont confrontés, liées à la pauvreté et au développement de l'économie informelle. Dans tous les cas, il est bien évidemment abusif d'interpréter ces discours comme l'expression de rapports sexuels avérés.

En réalité l'ensemble de ces phénomènes pose la question de la construction sociale de la masculinité des jeunes n'ayant pas accédé au mariage, et de son rôle dans l'émergence de cultures urbaines différentiées au sein de cette génération. C'est là l'objet des théories du « gender » dont je m'inspire, qui sont aujourd'hui banales dans les sciences humaines contemporaines. Il n'y a ici rien de secret ou de honteux : ces phénomènes sociaux se déroulent au grand jour et non, comme vous le prétendez, « cachés sous mille voiles ». En suggérant que la culture masculine des jeunes Yéménites devrait constituer une sorte de « secret défense », vous exprimez un point de vue passablement obscurantiste, incompatible avec l'esprit d'ouverture qui préside aux relations de coopération scientifique entre nos deux pays. De manière tout aussi absurde, vous présentez l'histoire légendaire des relations entre le Calife Haroun al-Rashid et son ministre comme une « arme » dans le contexte actuel de tensions géopolitiques et de dénigrement de la religion musulmane, me faisant implicitement un procès d'orientalisme. Mais les dilemmes de la fidélité à l'autre et à soi-même, comme les notions d'amitié et d'amour, ont dans la culture arabe une histoire longue et complexe qu'il importe surtout de ne pas caricaturer. En l'occurrence c'est vous-mêmes qui reproduisez les biais idéologiques et les présupposés les plus contestables de la tradition orientaliste, tels que les a analysés Edward Saïd. J'en veux également pour preuve l'opposition constante entre raison et sentiments qui sous-tend l'ensemble de votre argumentation, et qui a constitué l'outil privilégié du racisme orientaliste. Contrairement à mon travail, vous passez d'ailleurs totalement sous silence la forme de rationalité promue par la religion musulmane en ce qui concerne le rôle de l'amour dans la cohésion du lien social.

La perversité de votre tournure d'esprit, en dépit de l'élégance intellectuelle dont elle se pare, relève d'une forme d'agression contre laquelle j'ai malheureusement dû apprendre à me défendre. Depuis mon premier séjour en 2003, je suis régulièrement confronté à des interprétations sexuelles insultantes de ma présence au sein de la société yéménite : non pas, comme vous le suggérez, parce que la crise économique aurait fait proliférer les formes de déviance sexuelle au sein de la jeunesse véménite, mais parce que c'est le plus souvent sous cette forme que s'exprime la suspicion à l'égard de l'Autre européen, ainsi que la paranoïa alimentée par les agressions néo-impérialistes dont certains pays arabes sont aujourd'hui les victimes. C'est précisément en réaction à ce climat que mon ami, auquel vous faites référence par son surnom de « al-Za'im », avait adopté cette manière directe d'évoquer ses sentiments à mon égard : il souhaitait ainsi donner l'exemple dans son quartier d'une manière saine et univoque de traiter avec l'hôte étranger que j'étais, faisant honneur à l'idéal religieux qu'il aspirait à représenter. Sa posture impliquait envers moi une velléité de protection parfois pesante et peu compatible avec la conduite d'une enquête sociologique ; elle n'était pas non plus dénuée d'idéalisme et d'une certaine forme de mégalomanie. Mais elle n'en mérite pas moins le respect, comme toutes les initiatives qui ont contribué à rendre mes séjours enrichissants, sur un plan scientifique autant que personnel, malgré un contexte économique difficile aggravé par des tensions idéologiques internationales.

Si, comme vous le déplorez, la jeunesse yéménite souffre d'immaturité politique, ce n'est certainement pas du fait d'un « amour de la domination » bien fantasmatique. Ce serait plutôt, selon moi, lié à la suspicion et à la duplicité chronique que celle-ci entretient à l'égard de l'Occident, et par extension envers bon nombre d'institutions constitutives de la modernité : l'Ecole, la Loi, l'Etat, etc. Malgré ma grande ignorance du jeu politique dans ce pays, permettezmoi de douter qu'une opposition virulente et systématique au Gouvernement, faisant commerce des blessures nationalistes et de la xénophobie, soit de nature à faire avancer les choses.

Vincent Planel